محاضرة

التَّفسير اللُّغوي والموضوعي

الطَّريقة والفهم والمصادر

لمعالي الشّيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

مساء الثلاثاء، السادس والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٤٦هـ

اعتنىٰ بها

سالم بن محمَّد عبد الملك

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أيُّها الإخوة الكرام، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

مســـاءٌ بهـــيجٌ والمؤمِّـــل رابـــحُ ... وميـزانُ أهـل العلـم في الفضـل راجـحُ

مجـالسُ علـمٍ ينتقـي الـدُّرَّ أهلُهـا ... ويقصـدِها في النَّـاس شـادٍ وطـامحُ

حضـورٌ أضـاء اللَّيـل شـوقًا وبهجـةً ... يعبِّـر عمَّـا أضـمرته الجـوانحُ

فطـوبىٰ لكـم في مجلـسٍ شـعَّ نـورُه ... بضـاعتُنا التَّفسـير، والضَّـيف صـالح

أيُّها الإخوة الكرام، في هذا المساء، مساء الثُّلاثاء، السادس والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٤٦هـ، يُسعدنا أن نرحِّب بكم في هذا اللِّقاء المعنون بـ «التفسير اللُّغوي والموضوعي: الطَّريقة والفهم والمصادر».

وضيف لقائنا في هذا اللِّقاء المبارك معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ، حفظه الله. وما أسعدنا بهذا اللِّقاء بعد أن أتحفنا بلقاءٍ سابقٍ في هذا المجلس المبارك قبل عشر سنوات من الآن!

فالحمد لله الَّذي أطال في أعمارنا جميعًا حتىٰ نشهد هذا الخير وهذا العلم.

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يسدِّد الشَّيخ، وأن يفتح عليه، وأن ينفع بعلمه. فليتفضَّل مشكورًا، وفَّقه الله.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم،

الحمد لله حقَّ حمده وأوفاه، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبد الله ورسولُه، وصفيُّه وخليله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا مزيدًا.

اللَّهُمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا وثباتًا، يا أرحم الرَّاحمين.

أمَّا بعد، فإنِّي في فاتحة هذا اللِّقاء لأشكر اللهَ جَلَّ وَعَلَا، أن هيَّأ الأسباب، وأعاننا جميعًا؛ أعان المتكلِّم، وأعان الإخوة المنظِّمين في مركز تفسير، وكذلك الإخوة المُضيفين، الأخ الوجيه الكريم عبد الله شدِّي وأبنائه الكرام، وأعان الحُضور جميعًا علىٰ حضورهم في هذه اللَّيلة الباردة.

ونسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن فقُه في دين الله جَلَّ وَعَلَا، وعلِم القرآن ومعانيه، وعلِم حقَّ الله جَلَّ وَعَلَا فيه، فهو ذِكْره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الباقي فينا.

ثم إنِّي لأُثني علىٰ هذه الحلقات الكثيرة التي ينظِّمها مركز تفسير في هذه اللِّقاءات، وأظنُّ أنَّ هذا هو اللِّقاء رقم (٧٤) منها، وهي كلُّها في التَّخصُّص، في التَّفسير وعلومه، وهو من أجلِّ أو من أهمِّ العُلوم لطالب العلم؛ بالتَّفسير بأنواعه، لأنَّ به فهم كلام الله جَلَّوَعَلَا، في القرآن المنزَّل علىٰ رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

أيُّها الإخوة، موضوعُنا اليوم موضوعٌ سهل ومتداوَل في الجامعات، ومتداول في الدَّرس، ومتداول في البُحوث، ونُشر فيه العشرات من الكُتب والبحوث الكلِّيَّة والجُزئيَّة في موضوعه.

فالموضوع هو: «**التَّفسير اللُّغوي والموضوعي: الطَّريقة والفهم والمصادر**».

أنا اخترت هذا الموضوع لأجل أنَّ الَّذين يحضرون عندنا، ويستمعون للمحاضرات، وأيضًا من يستمعونها عبر الوسائل المسجَّلة المختلفة، قد لا يكونون من المتخصِّصين بالعلم، الَّذين يُعتبر ما سنقوله لهم هو ممَّا يُدرس في الجامعات أو يُطالعونه في الكتب؛ لأنَّ فهم كلام الله جَلَّوَعَلَا مطلوبٌ من الجميع؛

من العامِّيِّ بقدْرِه،

ومن طالب العلم المبتدئ بقدْرِه،

ومن طالب العلم المتمكِّن أيضًا مطلوبٌ منه أن يعتني بكلام الله جَلَّوَعَلَا.

والقرآن العظيمُ هو حُجّةُ الله جَلَّوَعَلَا علىٰ عباده، فلذلك كان من المُفيد أن نتناول هذا الموضوع بشيءٍ من الإيضاح، الَّذي يفتحُ الباب لطالب العلم في العُلوم كلِّها، وللمستمع للتَّشوُّق والعزم علىٰ زيادة العلم بالتَّفسير اللُّغوي، وكذلك بالتَّفسير الموضوعي.

لذلك أراه من المفيد أن يُعرض هذا الموضوع علىٰ مسامع الجميع.

القرآن الكريم؛ هو: كلام الله جَلَّوَعَلَا، منه بدأ كلامًا مسموعًا، سمعه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ منه، فنزل به الرُّوحُ الأمين علىٰ قلبِ محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ. فوعاه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقرأه عليه جبريل، وأُمِر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يتَّبع قُرْآنه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة]، قال جَلَّوَعَلَا بعدها: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة].

القرآن، بيَّن الله جَلَّوَعَلَا أنَّه لِشَرفه وعِظَم مكانته، وأنَّه الخاتَم لجميع كُتب الله جَلَّوَعَلَا، والمُهيمن عليها حقًّا وصدقًا وعدلًا وكمالًا وشمولًا؛

في عقيدته؛ يعني: ما اشتمل عليه من العقائد والغيبيَّات،

وفي شريعته؛ وما اشتمل عليه من تفاصيل الشَّرائع.

جعله الله جَلَّوَعَلَا بصفته مكتوبًا في اللَّوح المحفوظ، وجبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ نزل به مسموعًا من كلام الله جَلَّجَلَالُهُ.

فالقرآن لمَّا نزل، والله جَلَّوَعَلَا أكرم هذه الأمَّة به، نزل بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، وجعله قرآنًا عربيًّا، يعني: باللُّغة العربيَّة.

واللُّغة العربيَّة موجودةٌ قبل نزول هذا القرآن في النَّاس، وكان النَّاسُ يتفاخرون بها، ويتحدَّىٰ بعضُهم بعضًا في لغتهم، في استعمالها، في نثرها، في خُطبها، في شعرها، في بيانها، في وصفها، في رثائها، إلىٰ آخر أضرُب ما كانت تتنافس فيه العرب.

فنزل القرآن علىٰ هذا النَّحو المعجِز؛ بلفظه ومعناه، وأسلوبه، وتركيبه، ونَظْمه، وألفاظه، وما يشتمل عليه من العُلوم الإلهيَّة، الَّتي لم تكن واضحةً في شيءٍ إلَّا في القرآن، وما اشتمل عليه من الشَّرائع الإلهيَّة، الَّتي هي محض العدْل من الله جَلَّوَعَلَا.

كما قال سُبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾[الأنعام:١١٥].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ يعني: في الغيبيَّات، صدقًا في الأخبار، ما أخبر الله جَلَّوَعَلَا به من الغيبيَّات، في ذاته سبحانه، وصفاته وأسمائه، والغيبيَّات في ذكر ملائكته وجنَّته وناره وقدَره وقضائه، إلىٰ آخره، وفي أخبار من سبق من الغيبيَّات. ﴿تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾، فكلُّ ما جاء في القرآن فهو صدقٌ بشهادة ربِّ العالمين.

﴿وَعَدْلًاۚ﴾ يعني: في الشَّرائع، في الأحكام، فكلُّ أحكام الله جَلَّوَعَلَا الشَّرعيَّة المطلوبة تكليفيَّة، كلُّها رحمة، وكلُّها عدل، وكلُّها في مصلحة الإنسان، لا يُظلَم فيها الصَّغير ولا الكبير، ولا الرَّجُل ولا الأنثىٰ، ولا يُظلَم فيها الفَرْد، ولا تُظلَم فيها الأسرة ولا المُجتمعات بعَسْرها، ولا يُظلَم فيها أهل القرية، ولا أهلُ المدن، ولا أهل البادية، ولا أهل المَدر، ولا أهل الوبر، ولا تُظلَم فيها الدُّول، ولا يُظلَم فيها النَّاس؛ بل ما أنزل الله جَلَّوَعَلَا فهو العَدْل الصَّالح لهم.

وهذا بأعظم ما جاء بكلام الله جَلَّوَعَلَا نفسِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾ فهمُ كلام الله جَلَّوَعَلَا المنزَّل ينْبني علىٰ فهم اللِّسان العربي، أي: فهم اللُّغة العربيَّة.

لذلك النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يُسأل عن آياتٍ كثيرة ما معناها، وإنَّما سُئل عن القليل، وأُرشد إلىٰ معناها أيضًا، لأنَّ النَّاس يعلمون ذلك، ويعرفون معاني هذا القرآن، يعرفون معنىٰ ما أُنزل عليهم، وإلَّا لو كانوا يستشكلونه لقالوا: جئتَ لنا بشيءٍ تحتجُّ علينا به وهو غير مفهومٍ؛ بل كانوا يعونه.

"وإن أعلاه لمُثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلىٰ عليه"، لذلك كان أعظم ما ترك اللهُ لنا من حجةٍ -حجَّة القرآن-، أن نكون نفقه هذا القرآن ونعلمه، بمعرفة اللُّغة.

القرآن عبارةٌ عن ألفاظٍ ومعانٍ وتركيبٍ، فصارت الألفاظ والمعاني والتركيب مجموعُ ذلك آية أو آياتٍ، وهذه الآية أو الآيات تجمَّعت: إمَّا في ثلاثِ آياتٍ وإمَّا أكثر، حتَّىٰ صارت سُوَرًا، والسُّور اجتمعت وترتَّبت حتىٰ صارت هذا القرآن العظيم.

بعد وفاة النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بدأ الاستشكال، يعني: النَّاس يسألون عن معنىٰ هذه الآية، ومعنىٰ هذه اللَّفظة، ومعنىٰ هذا، ماذا يُراد به، إلىٰ آخره، حتَّىٰ إنَّ بعض الألفاظ استشكلها الصَّحابة الكِبار، كما رُوي عن أبي بكر وعُمر، أنَّهما تَلَوا قول الله جَلَّوَعَلَا : ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾ [عبس]، فقالوا: ما الأبُّ؟ ثم قال أبو بكر، وقال عمر: حسبُنا ما أنزل ربُّنا؛ يعني: ليس من اللَّوازم أن تعلم الكلمة في كلِّ وقت. وأحيانًا يسألون عنها، كما سأل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لمَّا تلا آيةً من سورة النَّحل علىٰ المنبر يوم الجمعة، في قوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾[النحل:٤٧]، فقال: أيُّها الناس، ما التَّخوُّف؟ يعني: نفهم التَّخوُّف أنَّه فيه خوف؛ لكن لا يستقيم مع سياق الآية، أن يأخذهم علىٰ تخوُّفٍ، يعني: وهم خائفون، فهم معاندون؟ قال: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾، ما التخوف؟، فقال رجلٌ هُذلي: يا أمير المؤمنين، التَّخوُّف في لغتنا التَّنقُّص، فقال: قال شاعرنا أبو كبيرٍ الهُذلي:

تخـــوَّفَ الرَّحْـــلُ منهـــا تامكًـــا قَـــرِدًا كمـــا تخـــوَّفَ عـــودَ النَّبْعَـــةِ السَّـــفِنُ

فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: "عليكم بديوان العرب -يعني الشِّعر- فإنَّ به معرفة كلام ربِّكم".

ومضىٰ الصَّحابة يسألون عن بعض الآيات، وصغار الصَّحابة يسألون كبار الصَّحابة، ثم صارت الأسئلة تكثر، وسبب عدم سؤال الأوَّلين وفهمهم للكلام؛ لأنَّ فهم الآية لا ينبني فقط علىٰ فهم اللَّفظ، أحيانًا تفهم سياق الآية بشهُود سبب نزولها، بشهود حالها، بشهود العمل بها، فظلُّوا يسألون شيئًا فشيئًا، يسألون ابن مسعود، يسألون عليَّ بن أبي طالب، يسألون أبيَّ بن كعب، إلىٰ آخره، حتَّىٰ جاء وقت ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، فكثُرت الأسئلة عليه.

ولذلك فسَّر ابن عباس الكثير من ألفاظ القرآن لغةً، كما هو في الصَّحيفة الصَّادقة، صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، وفيها الكثير، يعني: كبيرة، صفحات كثيرة فيها ألفاظ كثيرة ومعانيها، كما هو معروف في كتب التَّفسير، وتسمَّىٰ الصَّحيفة الصَّادقة عن ابن عباس.

وأيضًا يُروىٰ فيها أسئلة نافع بن الأزرق وصاحبه لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في صحن الكعبة عن آي القرآن الكريم، وما تفسيرها،

قال اثنان من الخوارج: نافع بن الأزرق ومعه واحد، قال: "قم بنا إلىٰ هذا الَّذي يجترئ علىٰ تفسير القرآن، نسأله عن مصادِقه من كلام العرب"،

فقال: "يا ابن عباس، إنَّا نراك تفسِّر القرآن، وإنَّا سائلوك عن مصادِقه من كلام العرب"،

فقال: "سلا عمَّا بدا لكما"،

فابتدأا بقوله:" ما الوسيلة؟ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، فقال: الوسيلة الحاجة"، فقالا له: "وهل تعرف العرب ذلك؟"، قال: "نعم"، قال: "أما سمعت قول عنترة:

إِنَّ الرِّجَـــالَ لَهُـــمْ إِلَيْـــكِ وَسِـــيلَةٌ أنْ يَأْخُـــذُوكِ تَكَحَّلِـــي وَتَخَضَّـــبِي

يعني: حاجة زواج أو ما أشبه ذلك.

ثم ساروا يسألونه في نحوٍ من خمسين سؤالًا، يثبت منها أو القوي منها حوالي ثلاث وثلاثين إلىٰ آخره،

وقد أوردها بتمامها بمراجعها، السيوطي في «الإتقان»، استنادًا إلىٰ ما رواه ابن الأنباري في كتابه في القراءات أو في الوقف، وما رواه الطبراني في «الكبير»، وقد ساق جملةً كبيرةً منها وغيره.

ففهم اللُّغة مهمٌّ، فكانوا يسألون عن لفظة، فالتَّفسير اللُّغوي حصَّلنا من هذا، أن من بعدهم أخذوا اللَّفظ ومعناه،، فكانوا يسألون، لذلك إذا أردت أن ترىٰ تفاسير السلف، ستجد أن تفاسيرهم مشت علىٰ هذا المنوال: ما معنىٰ هذه الكلمة؟ معناها كذا، لا يفسِّرون المعنىٰ الإجمالي، ولا المعنىٰ الموضوعي، وإنَّما يفسرون الكلمة بمعناها.

ثم تناقل عن السَّلف تفسير الآيات عن السَّلف، وخاصَّة أصحاب ابن عباس، وأصحاب ابن مسعود، وأصحاب عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأصحاب أبيّ، إلىٰ آخره، حتَّىٰ وُجدت كتب التَّفسير بالمأثور، في أواخر

القرن الثَّاني، وأوائل القرن الثَّالث، ثم جمعها الإمام المفسِّر محمَّد بن جرير الطَّبري، المتوفَّىٰ سنة ٣١٠هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، فجمع كلّ ما في تفسير الإمام أحمد، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن المنذر، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير عبد الرَّزاق، والتَّفاسير قبله، فصار تفسير ابن جرير هو العمدة في التَّفسير اللُّغوي المنقول عن الصَّحابة والتّابعين وتابعيهم.

لكننا نقف وقفة مهمَّة: الصَّحابة فسَّروا باللُّغة، فهل هذا التَّفسير هو الوحيد؟ لا.

التَّفسير عند الصَّحابة كان باللُّغة، وبأسباب النُّزول، وبواقع الحال، أو بالسِّياق،

وقبل ذلك كان فهمهم للآية ولتفسيرها مبنيًّا علىٰ فهم القرآن والسُّنَّة، ولذلك قال من قال من أهل العلم الَّذين فسَّروا لنا منهج السَّلف، خاصَّة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: "إنَّ تفاسير السَّلف هو تفسير القرآن بالقرآن أوَّلًا، ثم بالسُّنَّة، ثم بكلام الصَّحابة، ثم بلغة العرب".

وهذا حصيلة لما كان في كلِّ ذلك الزَّمن، لكن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا اجتهدوا في تعلُّم القرآن والسُّنّة، ومعرفة أسباب النُّزول، ومعرفة الحال، فيذهب لتفسير القرآن بكل هذه فيذهب إلىٰ لفظة فيفسِّرها، وهنا جاءتنا مدرسة كبيرة؛ وهي: مدرسة التَّفسير اللُّغة وتسمَّىٰ عند أهل العلم بـ«غريب القرآن». وأحيانًا مشكل غريب القرآن.

وكثرت التَّفاسير منذ الوقت الأوَّل وانتدب لها عدد من أئمَّة أهل الأدب واللُّغة مثل ابن قتيبة في غريب القرآن ومشكل القرآن، ومثل الأنباري في معاني القرآن وجماعة كثيرون كتبوا في ذلك، وأرسوا فتوسَّع الكلام في اللُّغة.

الآن نحن أمام مدرسة، وهذه مهمَّة لطالب العلم، مدرسة لما يسمَّىٰ التَّفسير بالمأثور، يعني المأثور عن الصَّحابة والتَّابعين. والتَّفسير بالأثر؛ يعني: بالنَّقل عمّن هم أهل للتَّفسير من الصَّحابة والتَّابعين وأئمَّة الإسلام. وهؤلاء فسَّروا بالقرآن، وبالسنَّة، وبأسباب النُّزول، وبحال، وفسَّروا باللُّغة أيضًا قصْدًا.

التَّفسير باللُّغة. الآن نقف وقفة مهمَّة، هذا قدر تعلمونه واضح؛ لكن التَّفسير باللُّغة مهمٌّ جدًّا. لماذا؟ لأنَّ لفظ القرآن قد يشتمل علىٰ معانٍ كثيرة، كلُّها صحيحة لغةً، فتجد أنَّ بعضهم يفسِّرها بتفسير هو من حيث اللُّغة صحيح، ومن حيث دِلالة القرآن عليه صحيح.

فنشأ في أقوال السَّلف مجموعةٌ من التَّفسيرات الَّتي يظهر لك أنَّها مختلفة، لكنَّها في الحقيقة متَّحدة وليس بها خلاف. مثل ما نمثِّل لكم دائمًا بقوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة]؛ فنجد

أنَّ الصِّراط قد فُسِّر بأنه القرآن، أو السُّنَّة، أو الإسلام، أو غير ذلك. فالقرآن يدلُّ علىٰ السُّنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام، والقرآن والسُّنَّة هما الإسلام، وهكذا. فهذا التَّفسير يسمَّىٰ عند المتأخِّرين **اختلاف تنوُّع**، أي: أنَّ بعضهم نظر إلىٰ الصِّراط باعتباره الطَّريق المُوصل بين العبد وبين ربِّه، فقال: القرآن، وقال آخر: السُّنَّة، وقال ثالثٌ: الإسلام، وهكذا.

فإذن صار عندنا هنا: تفسيرٌ للَّفظِ **بلازمه**، أو بما **يتضمَّنه**، أو تفسيرٌ للَّفظ **بالمطابقة**، فصار عندنا تفاسير السَّلف أخرجت لنا علمًا كثيرًا جدًّا وكبيرًا؛ أنَّ القرآن، آيات القرآن، معاني القرآن، ألفاظ القرآن:

تُفسَّر تارةً **بالمطابقة**، يكون تفسيرًا صحيحًا، يعني: الصِّراط هو الطَّريق الموصل إلىٰ المقصود أو أقصر طريقٍ موصلٍ إليه، وهذا تفسير **بالمطابقة**.

أو تفسير **بالتَّضمُّن**،

أو تفسير **بالالتزام أو باللُّزوم**،

فصار عندنا سَعَة في فهم القرآن، بحيث لا تدلُّ الآية علىٰ معنًىٰ واحد فقط؛ بل تدلُّ علىٰ معانٍ متعدِّدة، منها ما هو باللَّفظ، ومنها ما هو بتضمُّن اللَّفظ، ومنها ما هو بما يلزم عن اللَّفظ.

وهذا يتيح حرِّيَّةً أكبر للمفسِّر في التَّفسير الإجمالي، كقول ابن جرير وابن كثير: قال الله تعالىٰ يخبر بكذا وكذا. فمن أين أتوا بهذا كلَّه؟ تفسيره بالسِّياق، وهو تفسيرٌ للآية بسياقها. وبالمطابقة وبالتَّضمُّن وبالالتزام، فيجمعها المفسِّر ويرىٰ كلام من قبله من السَّلف، ثم يجعلها في سياقٍ يصلُح للمستمِع.

لهذا نقولُ: كلَّما كان عندنا القدرة أكثر علىٰ فهم كلام السَّلف في التَّفسير اللُّغوي، أمكننا الانطلاق إلىٰ التَّأثير علىٰ النَّاس بأنواع التَّفسير: بالمطابقة، أو بالتَّضمُّن وبالالتزام، ثم تأخذ معه تفسير الآية بغيرها، أو بسبب النُّزول، ثم بالمعنىٰ العام الَّذي سنذكره.

الألفاظ الَّتي جاءت في القرآن نوعان:

ألفاظ جاءت علىٰ سَنن العرب في كلامها، أي أنَّ معناها معروف في اللُّغة وفي الاستعمال.

ألفاظ جاءت بمعنىٰ شرعيٍّ زائد عن المعنىٰ اللُّغوي، وهي ألفاظ كثيرة جدًّا، يسمِّيها ابن فارس في «الصَّاحبي» بـ"الأسباب الإسلاميَّة"، وبعض المتأخِّرين يسمُّونها "المُصطلحات القرآنيَّة"، وهذا الكلام غير دقيق؛ لا نسمِّي شيئًا في القرآن مصطلحًا؛ لأنَّ الاصطلاح هو اتِّفاق أناسٍ علىٰ معنًىٰ معين، اتِّفاق أكثر من طرف علىٰ معنًىٰ، أمَّا القرآن فهو كلام الله الذي تكلَّم به، وهو الله جَلَّوَعَلَا هو الذي نقل المعاني مما

عرفته العرب إلىٰ معنىٰ جديد خاصّ. مثل الرُّبوبيَّة، الألوهيَّة، مثل الأسماء والصِّفات، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]. كلمة الحسنىٰ ، الأسماء.

مثل، كلمة **التَّسبيح، التَّحميد،** سبحان الله، الكلمة التي يحبُّها الله جَلَّوَعَلَا. أحبُّ الكلام إلىٰ الله أربع: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، «وكلمتان خفيفتان علىٰ اللِّسان، حبيبتان إلىٰ الرَّحمن، ثقيلتان في الميزان: **سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

كلمة (سبحان) في اللغة معناها **الإبعاد،** كما قال الشاعر:

أقـــولُ لمَّـــا جـــاءني فخْـــرُه ســـبحان مِـــن علقمـــة الفـــاخر

أي: بعيد أن يكون مستحقًّا للفخر.

لكن عندما جاء لفظ **التَّسبيح** في الإسلام، أصبح له معنىٰ أعمق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء]

فالقرآن كله **تسبيح**، والملائكة تسبح.

وفي العربية، كان لفظ "سبحان" صغيرًا، فجاء القرآن وجعله يحمل **معنًىٰ واسعًا وعظيمًا**. هذه النُّقلة الكبيرة، نسمِّيه هنا المعنىٰ القُرآني، أو المعنىٰ الشَّرعي، أو المعنىٰ الإسلامي،

فصار **التَّسبيح** يدخل في اللَّفظ؛ يعني: **تنزيه الله** جَلَّوَعَلَا **عن جميع النَّقائص** الَّتي لحقت المعبودات الباطلة، وذلك في:

١. **ألوهيَّته**: بتنزيهه عن أيِّ شريك يستحق العبادة.
٢. **ربوبيَّته**: بتنزيهه عن أيِّ منازع في الخلق والتَّدبير.
٣. **أسمائه وصفاته**: بتنزيهه عن المثيل والنَّظير.
٤. **قضائه الكوني وقدره**: فالله لا يقع في قضائه وقدره شيءٌ خارج عن حِكمته وعِلْمه.
٥. **حُكمه وشرعه**: فالله أنزل شرعًا صالحًا لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، في زمن نزول القرآن وفي أي زمن من الأزمنة.

إذن، التَّسبيح **نقلة كبيرة** من **معنىٰ لغوي بسيط إلىٰ معنىٰ شرعي شامل**، يدخل في كل تفاصيل الحياة، ويشمل الأزمنة والأمكنة والنَّاس وكلُّ ما يدركه العبد.

فالله جَلَّوَعَلَا يحبُّ التَّسبيح في كلِّ حال، وفي كلِّ زمان وفي كلِّ أوان وفي كلِّ مكان، إذن فالتَّسبيح وحده

نقلة كبيرة من معنىٰ لُغوي، إلىٰ معنًىٰ لغوي واسع جدًّا، يشمل الحياة ويشمل الأزمنة الأمكنة ويشمل النَّاس، ويشمل كلَّ ما ينظر فيه العبد.

فإذن الألفاظ التي جاءت في الشَّريعة فيها ألفاظ في التَّوحيد، ومعانيها شرعيَّة، يعني جاء في الشَّريعة مزيج عمَّا كان، تجدها تشمل أشياء كثيرة.

فمثلًا: **الرَّب، الإله، الاسم، الصِّفة، المِثل** ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشُّورىٰ:١١]، **القضاء، القدر،** الغيبيَّات كلُّها، الرُّسل، الملائكة، الكُتب.

ثم تأتي للألفاظ التي تتبع ذلك **التَّسبيح، التَّحميد، التَّهليل،**

ثم تأتي للألفاظ التي تتبع ذلك في العقائد شيئا فشيئا إلىٰ كلُّ ما جاء في القرآن .

ثم تدخل في العبادات: **الصَّلاة؛ الصَّلاة** في لغة العرب تعني **الدُّعاء والثَّناء**، كما في قول الشاعر:

تقـــول بنتـــي وقـــد قربـــت مـــرتحلا		يا رب جنـب أبـي الأوصـاب والوجعـا
عليـك مثـل الـذي صـلَّيتِ فاغتمضـي		نومـــًا فـــإن لجنـــب المـــرء مضـــطجعًا

(صليت) بمعنىٰ دعوت.

وتأتي بمعنىٰ الثَّناء «اللَّهُمَّ صل علىٰ محمد»، ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب] اسألوا الله أن يصلي عليه؛ يعني: أن يثني عليه في الملإ الأعلىٰ. هذا المعنىٰ اللُّغوي.

ثم جاءت الصلاة التي يحبُّها الله جَلَّوَعَلَا من العبادات.

إذن زادت هناك في اللُّغة في التَّفسير يكون عندك نظران:

نظر لغوي بحت.

ونظر عقائدي وشرعي يشمل كل معاني الدين.

من هم أحسن النَّاس تفسيرا؟ هل الذين فسَّروا القرآن باللُّغة فقط دون هذه المعاني كلها أو غريب القرآن، فيه ناس يقولون: ما أحس بحياة إذا مريت «معاني القرآن» للعُزيزي أو «غريب القرآن» لابن قتيبة كلمة ومعناها لطن أقرأ لمن أخذ هذه وصاغها وجمع المعاني اللغوي مع المعاني الشرعية مع السياق القرآني مع العقيدة وتعظيم الله جَلَّوَعَلَا، وجد القرآن مؤثِّرًا يحيي القلوب ويحيي النفوس.

الرَّعيل الأوَّل، الصَّحابة الذين آمنوا بالقرآن أوَّل ما آمنوا، آمنوا به بالسَّماع فقط. عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دخل علىٰ أخته وهي تقرأ «طه»، فآمن من قراءة أخته، يعني: يعلم الكلمات، ثم علم أن وراء هذه

الكلمات علمًا عظيمًا عظيمًا جدًّا لا يدركه إلَّا من آمن، فسعىٰ للإيمان، لأنَّه يعلم أنَّه المراد ليس هذه الألفاظ فقط، وإنَّما وراءها إيمان، ووراءها عمل، ووراءها صلة بالله، ووراءها أمورٌ أخرىٰ.

إذن، عندنا التَّفسير اللُّغوي، وهو موجود في كتب كثيرة، سواء كان التفسير بالمأثور أو بالمفردات، كما قلنا في غريب القرآن. والمتأخِّرون كتبوا في المفردات كثيرًا، وخلطوا التَّحليل اللُّغوي بعقيدة كلُّ من كتب، فتجد معتزليًّا كتب في غريب القرآن أو مفردات القرآن، فيُدخل معتزلته، والمتكلِّم يُدخل كلامه، والأشعري يدخل أشعريته، الماتريدي يدخل ماتريديته، وهكذا بحسب فهمه. فهي مفردات، لكن أُدخل فيها معنًىٰ زائدًا ليس من القرآن، وإنَّما هو من فهمه، وليس مطابقًا لفهم السَّلف. وهذا في الحقيقة فيه جرأة، فهم يريدون خيرًا؛ لكن فيه جرأة، لأنَّه فسَّر القرآن برأيه، وبدون دليلٍ واضحٍ عليه، وإنَّما فسَّره برأيه.

قد جاء في الآثار والأخبار أنَّ «**من فسَّر القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»، وهذا النَّوع من تفاسير المُفردات لا يصلح إلَّا لمتمكِّنٍ في العلم وفي الاعتقاد، أمَّا الشَّخص العادي يذهب إلىٰ التَّفاسير المختصرة التي فيها الفائدة.

التَّفسير اللُّغوي يشمل زيادة علىٰ ما ذكرنا، تفسير اللَّفظ المُفرد، ثم يشمل تفسير التَّركيب، الَّذي نسمِّيه النَّظم -التَّركيب الآية ككلّ-، ثم يشمل التَّفسير الإعجازي؛ الَّذي فيه إعمالٌ لعلوم البلاغة، وأهمّ علوم البلاغة علم المعاني والبيان.

التَّفسير اللُّغوي زيادة وفيه مؤلفات ومصنَّفات كثيرة في هذا المجال؛ لكن ليس الكلُّ يحتاج إليه،

ومن أحسنها في الزَّمن المتأخِّر يغنيك عما تقدَّم لأنه أقل مخالفات تفسير الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، ففيه تحليل لغوي ومعاني وبيان، حتَّىٰ إني تتبَّعته في مسائل كثيرة استفدت منها في مسائل توحيد الإلهية وعبادة الله وحده، والرَّد علىٰ عبادة المقبورين والأولياء المدفونين والموتىٰ، فوجدته يُجيد الاستدلال البياني ويجيد الاستدلال البلاغي بالآيات علىٰ المراد.

مثلًا، عند قوله تعالىٰ في أول سورة الزُّمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣] وهي الآية التي يستدل بها حتىٰ المتأخِّرون في عبادتهم للأولياء والمقبورين والموتىٰ والمدفونين.

قال ابن عاشور -يعني كيف تدخل البلاغة كيف تدخل في تفسير الآية ثم ما تستنتجه منها، هذا الذي

عنينا في العنوان: الطريقة-: إن في الآية حصرًا وقلبًا إضافيًّا. وهذا من علوم البلاغة، باب، تذهب إلىٰ الحصر والقصر ، حيث فسَّرها بأنهم لا يعبدونهم لعلة من العلل، ولا لسببٍ من الأسباب، إلَّا ليقرِّبوهم إلىٰ الله مرتبةً وزلفىٰ وطريقًا.

هذا يعني أنَّ قول المتأخِّرين، كما يفسِّره ابن عاشور، هو نفسه قول المشركين في الجاهلية: **نحن ما أردنا عبادتهم بالذَّات، وإنَّما أردنا أن يتوسّلوا لنا ويشفعوا لنا"**، أي أن تعبيره وتطبيقه للبلاغة علىٰ آية الزُّمر تطبيقًا صحيحًا، وينتج منه ما هو المقرَّر عند الصَّحابة والسَّلف في معنىٰ توحيد الإلهية.

عند المتأخِّرون قسموا علم التَّفسير إلىٰ عدَّة أقسام:

التقسيم الأوَّل: نقسمه إلىٰ: التَّفسير بالمأثور، والتَّفسير بالاجتهاد (الرأي المحمود).

التَّفسير بالمأثور هو الذي ذكرناه، أمَّا التَّفسير بالاجتهاد، فيشمل التَّفسير باللُّغة وعلومها، وأسباب النُّزول، وبالفقه وبالأحكام والأحوال المرتبطة بالآيات.

التقسيم الثَّاني: وهو تقسيم معاصر، قسم التّفسير إلىٰ قسمين، وهي قسمة صحيحة:

التفسير التَّحليلي: حيث يتم تحليل الآية، فيذكر معنىٰ الكلمة، ثم معناها الإجمالي، أو يذكر تفسير الآية مباشرة، وهذا ما عليه كلُّ التَّفاسير السَّابقة، سواء بالمأثور أو بالاجتهاد، فهي تفاسير تحليلية بشكل أو بآخر.

التَّفسير الموضوعي: أيضًا جزء من موضوعنا اللَّيلة هو **التَّفسير الموضوعي**، وهو نوع من التَّفسير جدُّ مهمٍّ لطالب العلم. ما وجه أهمِّيته لطالب العلم؟ للمفسِّر مهم، ولكن لطالب العلم بعامَّة؛ طالب العلم في العقيدة، في الفقه، في الدَّعوة، في الحديث، في السُّنَّة، إلىٰ آخره.

لماذا؟ لأنَّ الحجَّة في القرآن أن تُورد ما في القرآن من موضوعاتٍ تحتجُّ لها بالقرآن لتوصلها إلىٰ النَّاس، يعني: الدِّين ما يصل للنَّاس بمعنىٰ كلمة، ما توصله بكلمة ومعناها، ما توصله بتفسير آية، تُوصل الدِّين للنَّاس بالموضوعات.

مثلًا، إذا أردنا أن نقول: «التَّوحيد في القرآن»، هذا تفسير موضوعي، يعني: موضوعُ التَّوحيد في القرآن، «القرآن في القرآن»، «السُّنَّة في القرآن»، «طاعة الرَّسول في القرآن»، وهكذا.

مثل ما كتب أحد أساتذتنا: «حديث القرآن عن القرآن»، يعني: هذا تفسير يسمَّىٰ تفسيرًا موضوعيًّا.

وكثير من الَّذين كتبوا في هذا من أهل العصر ذهبوا إلىٰ موضوعاتٍ كثيرة؛

- حديث القرآن عن القرآن،
- الرُّبوبية،
- الرَّب في القرآن،
- الإله،
- أنواع التَّوحيد في القرآن،
- الابتلاء في القرآن،
- الفتنة في القرآن،
- السُّجود في القرآن،
- التَّسبيح في القرآن، وهكذا.

فيأخذ موضوعًا ثم يذهب إلىٰ الآيات في القرآن كله، ويجمعها ثم يفصل هذه الآيات، يقسِّمها برؤوس موضوعات، فيكون عندنا الموضوع صار واضحًا في كلِّ مواطنه في القرآن.

التَّفسير الموضوعي بهذا الشَّكل، يعني مثلًا نقول:

- الرِّجال في القرآن،
- المساجد في القرآن،
- القتال في القرآن،
- الكفر في القرآن،
- الأمَّة في القرآن،
- ولاة الأمر في القرآن،
- الرُّسل في القرآن،
- إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن،
- نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن،

يعني خذ ما شئت. لماذا؟ إذا قرأنا كتب الأئمَّة المدقِّقين مثل ابن تيميَّة وغيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعدد، وابن القيِّم، وشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، تجد أنَّهم في الموضوع الواحد إذا أتوا بموضوع، يقولون: وقال تعالىٰ، وقال تعالىٰ. لفت نظركم ذلك؟ كله يقول: وقال تعالىٰ، وقال،

يمضي صفحتين وهو كله يأتي بالآيات، مع أنَّ القرآن، مع أنَّ الدَّليل يكتفىٰ فيه بواحدٍ، إذا كان هناك استدلال علىٰ مسألة فيكفي آية واحدة؛ لأنَّ الآية الواحدة حجَّة. لكن هو يريد أن يعطيك موارد هذا الموضوع في كتاب الله جَلَّوَعَلَا، حتَّىٰ تأخذ منها علمًا وراء علم، وراء علم، كلُّ واحدة دليل علىٰ شيءٍ، علىٰ أصل المسألة؛ لكن إذا أردت كلُّ مواطن وروده فتجد أنَّها أفادتك علمًا كثيرًا.

هذا التَّفسير، التَّفسير الموضوعي، مهمٌّ لطالب العلم جدًّا، لأسباب:

أوَّلًا، أنَّه يسهِّل عليه استحضار الآيات في الموضوع نفسِه، إذا أراد أن يتحدَّث كيف يجمع الآيات في الموضوع، كيف يجمعها إلَّا عن طريق كُتب التَّفسير الموضوعي، لأجل أن تكون حجَّته أقوىٰ. إذا كان أمامك أحد تريد أن تفسِّر له أو تحتجّ عليه أو تبيِّن، فتورد آية؛ وقال تعالىٰ، ثم تقول: وقال تعالىٰ، وهذه كذا، وقال تعالىٰ، وقال، في نفس الموضوع، ما في شكّ أنَّه تكون الحجَّة أقوىٰ، والإيضاح أبلغ، ويكون القوَّة في تعدُّد الآيات أوضح وأظهر.

التَّفسير الموضوعي مهمٌّ أيضًا؛ لأنَّ بعض المسائل ما تتَّضح إلَّا بجمع الآيات فيها.

مثلًا، العالم الجليل المفسر محمد الأمين الشنقيطي، الأصولي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ، لما جاء لمسألة مختلف فيها في الظَّاهر، وهي مسألة: هل وجه المرأة من الزِّينة التي تظهر ويجوز إبداؤها أم لا؟

فجاء وقال: لأجل أن نفهم هذا الموضوع لا بدَّ أن نبحث عن كلِّ آيات ومواطن الزِّينة في القرآن، كلّ الآيات الَّتي فيها زينة لا بدَّ نأتي بها ونفهم؛ لأنَّ القرآن يصدِّق بعضُه بعضًا، وبعضه يدلُّ علىٰ بعضٍ، ونفهم القرآن بالقرآن. فقال: لا بدَّ أن نأتي بالآيات كلِّها، لأنَّ: هل الوجه من الزِّينة؟ ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾[النور:٣١]، قال: الوجه والكفان، هل الوجه مثلًا يعتبر من الزِّينة التي ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ أم لا؟ أتىٰ بالآيات جميعًا.

ثم وصل بنا إلىٰ نتيجة، قال: القرآن كلُّه في كل آيات الزِّينة يدلُّ، -يعني هنا نقول: «الزِّينة في القرآن»-، يدل علىٰ أنَّ الزِّينة شيء مستجلب من خارج الذات إلىٰ الذات ليحسن. قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾[الكهف:٧]، زينة لها، يعني: هو زينة لها غير، هي غير، وهذا زينة لها، يعني شيء تتزيَّن به، وهكذا.

في السَّماء، جعل: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات]، ثم سرد الآيات، فخرج منها بأن معنىٰ الزِّينة في القرآن لا يساعد القول بأن ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ يعني الوجه والكفَّين.

لمَّا نأتي إلىٰ توحيد الأسماء والصِّفات، في صفات الله جَلَّوَعَلَا. لما عُقدت مناظرة «الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، المناظرة المشهورة، أنت تقول كذا كذا كذا، وأنَّ السَّلف، قالوا له: إنَّ السَّلف، أوَّلوا آيتين، أوَّلوا آية الوجه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة:١١٥]، وأوَّلوا السَّاق في سورة القلم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم:٤٢]، فقال: أتحدَّاكم ثلاثين عامًا أن تأتوا في القرآن بما يدلُّ علىٰ أنَّ تفسير السَّلف في هذه تأويل. فذهبوا إلىٰ معاني الوجه في القرآن، فوجدوا أنَّها مستقيمة مع ما قال هو، ولا يصحُّ الاعتراض به عليه.

إذن فطالبُ العلم، التَّفسير الموضوعي مهمٌّ. طالب العلم لمَّا تأتي بآية واحدة يحتج عليك، يقول: لا، هذه معناها كذا، تقول له: قف، هذا اللَّفظ جاء في القرآن في آية كذا، وجاء في الآية هذه، وجاء في الآية هذه، وكلُّها بمعنىٰ كذا وكذا، وهو الذي قلت: إذا أراد أن يرد عليك في المسائل المهمَّة،

«الفتنة في القرآن»، واحد كتب رسالة، رسالة ماجستير أو دكتوراه، «الابتلاء في القرآن»، وهكذا.

فإذن التَّفسير الموضوعي هو أخذُ كلمةٍ جاءت في القرآن، وتكرَّر مجيئُها في القرآن، فجمع الآيات، ثم النظر في الآيات، وتفصيلها، وتبويبها، حتَّىٰ نعلم ما معنىٰ هذه الكلمة.

«الأمَّة في القرآن»: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠]، هذا معنًىٰ، ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[يوسف:٤٥]، هذا معنًىٰ، ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْۚ﴾ [الأنعام:٣٨]، هذا معنًىٰ، فالأمَّة في القرآن، وهكذا.

فكثير ممَّن كتبوا في أنواع الموضوعات، يعني التَّفسير الموضوعي، أفردوها، إمَّا رسائل صغيرة، وإمَّا رسائل كبيرة؛

لكن أنا في هذا المقام أثني وأشكر لمركز تفسير علىٰ عنايته بموضوع التَّفسير الموضوعي، حيث عمِل عملًا جليلًا، وهو إصدار «موسوعة التَّفسير الموضوعي» في ٣٦ مجلدًا، من ابتدائها بطريقة علميَّة، كلُّ واحد يكتب، باحث، عدد من الباحثين كتب فيها، أكثر من ١٢٣ باحثًا، وأخذوا منها تقريبًا ٧٠ ممَّا كتبوا، وراجعها المحكمون المراجعون بلغوا ١٠٠، إلىٰ آخره.

الكمال عزيز؛ لكن جهد كبير، أنا فيما ألقي من بحوث، يسرت عليَّ كثيرًا في الاستحضار والتفصيل والتَّقسيمات، لأني أحب التقسيمات، وهذا يروح كذا، وهذا كذا وهذا يروح كذا مع الاستدلال بالقرآن واستحضاره، فيسهل فهم ما جاء في القرآن.

إذن طالب العلم إذا أراد أن يذهب إلىٰ موضوعٍ في البحث وهو في القرآن، لابدَّ أن يمرَّ علىٰ معنًىٰ

ورود هذا اللَّفظ ومعناه في القرآن الكريم، وهو ما يسمَّىٰ التَّفسير الموضوعي، في موسوعة التَّفسير الموضوعي.

أنا استأذنتُ أخي الشَّيخ عبد الرَّحمن في جلسة سابقة، فقلتُ: أنا أريد أن ألخِّص الموسوعة وأغيِّر ترتيبها. فقال لي: كيف تغيِّر ترتيبها؟ يعني كيف ستلخِّصها؟ أنتم جعلتموها علىٰ ترتيب ألف باء، من حرف الهمزة إلىٰ حرف الياء، تبدأ بآدم والأخوة ، ثم تنتهي بحرف الياء.

أنا أريد أن أجعل التَّفسير الموضوعي بحسب موضوعات الشَّريعة. هي نفس الَّتي أوردوها؛ لكن باختصار وتقديم وتأخير. نفس الَّذي أوردوه، لكن كل موضوع يُوضع في جدول العلوم الشَّرعية، فنجعل موضوعات العقائد مع بعضها.

أوَّل شيء: الله، الأسماء والصفات، لا إله إلَّا الله، ثم نبدأ في التوحيد، ثم ننتهي بالمعنىٰ الموضوعي للتَّوحيد، ثم في الملائكة، الكتب، الرُّسل، ثم اليوم الآخر، ثم القضاء والقدر، ثم نذهب للإسلام والإيمان، ثم الألفاظ التي تشمل ذلك من التَّسبيح والتَّحميد، إلىٰ آخره.

ننتهي من العقائد، ثم ندخل في العبادات،

ثم ننتهي من العبادات، ثم ندخل في المعاملات،

ثم ندخل في السُّلوك، ثم ندخل في الأخلاق، ثم ندخل في الأسرة، إلىٰ آخره.

فيكون لطالب العلم قريبًا في الاستدلال، لأنَّني أبحث عن الموضوع، لا أبحث عن اللَّفظ وما يرد فيه، بل أبحث عن الموضوعات المتقاربة.

وجزاه الله خيرًا، قال: شيء طيِّب، فأذن لي، بارك الله فيه. وأنا أرىٰ أنَّ هذا المشروع عندي مهمّ، لأنه سيقرِّب لنا الاحتجاج بآيات كثيرة في الموضوع الواحد.

كنتُ دائمًا أرىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ يأتي بصفحتين أو ثلاث كلُّها استدلال بالآيات. هذا الاستدلال بالآيات يحتاج إلىٰ استحضار وقوَّة ومعرفة الموضوع الَّذي دارت عليه هذه الآيات.

إذن عندنا خلاصة البحث أو خُلاصة الكلمة: أنَّ نوعي التَّفسير:

التَّفسير اللُّغوي قد كتب فيه كثير من الكتب، منها كتب كثيرة في التَّفسير اللُّغوي من المعاصرين مساعد الطَّيَّار «التَّفسير اللُّغوي للقرآن الكريم»، وفقه اللغة، وسر القرآن.

والتَّفسير الموضوعي كذلك كتب فيه عدد من الباحثين.

أمَّا الخلاصة العمليَّة لطالب العلم فهي التي لخَّصتُها لك. لأنَّنا ذكرنا أن هنا ليس محلّ جامعة، ولا نريد أن نفصِّل بتفصيل علمي دقيق متعمِّق في كلِّ جزئية، ولكن النَّاحية العمليَّة أن تأخذ التَّفسير اللُّغوي والتَّحليلي إلىٰ آخره بكتبه، ثم التَّفسير الموضوعي، وتكتفي بالموسوعة فيها حسب الحروف.

تريد أن تبحث عن كلمة "تسبيح"، تذهب إلىٰ "س ب ح"، تريد أن تبحث عن "فتنة"، تذهب إلىٰ "فتن"، تريد أن تبحث عن الابتلاء، تذهب إلىٰ حرف الألف، وهكذا.

هم يأتونك في أوَّل كلّ صفحة بعنوان الموضوع، فيذكر لك العناصر التي تحتاجها. هذه يحتاجها الخطيب، فإذا كنت ستخطُب، لا تحتاج إلىٰ جهدٍ كبير، لأنَّها ملخَّصة عندك، فالعناصر موجودة، وتأخذ كل آية وموضوعها، ثم تلقي موعظة أو تذكرة، سواء للنَّاس في المملكة العربيَّة السُّعودية أو في العالم كلّه.

فهي قريبة المأخذ لمن يعرف القرآن، ويحفظه، ويستحضره، ويكون عنده الموضوع واضحًا، وعبارتها سهلة، وفي أسلوبٍ متناسِقٍ، ينفع لكلِّ الطَّبقات.

هذا خلاصة لهذا الموضوع المهمّ. أرجو أن أكون استطعتُ أن ألخِّصه بما يهمُّ الدَّارسين في القرآن الكريم، والدَّارسين في فهم معاني كلام الله جَلَّوَعَلَا لفظًا ولغةً وموضوعًا، خاصَّةً موضوعات العقائد الكُبرىٰ.

لأننا نرىٰ اليوم أناسًا يحتجون ببعض الآيات، وهم لا يستحضرون جميع الآيات، ولو جمعوا جميع الآيات وتفسيرها، لردّوا علىٰ أنفسهم.

والعلم يكون بالقرآن كلِّه، والدِّين يكون بفهمه كلِّه، أمَّا الأخذ ببعضه دون بعض، فإنَّه يورث قصورًا بحسب ذلك.

أشكر الإخوة مرَّة أخرىٰ، والحاضرين، وأسأل الله جَلَّوَعَلَا لي ولكم السَّداد في القول والعمل. وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد.

أ.د. عبد الرحمن الشَّهري: اللَّهُمَّ صلِّ وسلم عليه.

شكر الله لكم، معالي الشيخ صالح، هذه المحاضرة المركزة في موضوعين من أهم موضوعات

التفسير: التَّفسير اللُّغوي للقرآن الكريم، والتَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

وأسأل الله أن ينفع بها، وأن يتقبَّل منك.

هنا بعض الأسئلة، وأيضًا لعلَّنا نأخذ قبلها بعض التَّعليقات من الحضور الكرام.

نبدأ بتعليق من أ.د. بدر البدر، الأستاذ بجامعة الإمام محمَّد بن سُعود الإسلامية، ليتفضل:

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله،

أمَّا بعد؛ فشكر الله لمعالي شيخنا الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه الله وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء، علىٰ هذا العلم الغزير الوفير.

الإنسان في مراحله الجامعيَّة درس هذا، ودرَّس علم التَّفسير اللُّغوي والتَّفسير الموضوعي، سواء في مرحلة البكالوريوس أو في مرحلتي الماجستير والدُّكتوراه، مع الإشراف والمناقشة؛ لكن الحقيقة أنَّنا استفدنا الكثير الكثير، وهذا هو الَّذي جئنا من أجله.

وجزىٰ الله مضيفنا الشَّيخ عبد الله الشّدِّي خيرًا، علىٰ هذا الاستقبال والحفاوة.

أنا لا أعلِّق علىٰ كلام الشَّيخ، فكلامه هو المقدَّم، وهو الكبير، لكن من باب السُّؤال، أطرحه بين يدي معالي شيخنا.

وهو: من حيث ما ذكرتم في التَّفسير الموضوعي من جمع الآيات وذِكرها. أذكر كلمةً لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: إنَّ منهج السَّلف هو إيراد الأدلَّة، خاصَّة من القرآن الكريم، حتىٰ يقطع علىٰ الخصم ما يُريده.

فإنَّه لو تيسَّر له -وهو لن يتيسَّر- أن يؤوِّل آية أو يحْرِف معناها، فماذا يقول في باقي الآيات؟ ماذا يقول في الآيات الأخرىٰ؟

وأيضًا، هذا المنهج عاش عليه مشايخُنا، كسماحة والدنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، وقد أدركنا مجالسه، وكان يذكر الأدلَّة الكثيرة.

بل حتَّىٰ إنَّ أحد الإخوة فرَّغ إحدىٰ كلماته التي لم تتجاوز عشر دقائق، فوجد أن ٧٠٪ منها كانت آيات. وكان يذكر هذا المنهج عن شيخه سماحة الشَّيخ العلامَّة محمَّد بن إبراهيم آل الشّيخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعًا.

فهذا كان منهجهم: إيراد الأدلة؛ لأنَّ القلوب لا تصلُح، والحياة لا تستقيم إلَّا علىٰ وفق كتاب الله عز وجل وسنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن جهة أخرىٰ، أطرح هذا الأمر بين يدي معالي الشّيخ، وهو: الارتباط بين التَّفسير الموضوعي والتَّفسير اللُّغوي. فإنَّ كثيرًا من الدَّارسين المعاصرين اليوم يقولون: إنَّ التَّفسير الموضوعي ليس بِدْعًا، فإنَّنا لو نظرنا في كُتب الغريب، لوجدنا أنَّهم عندما يأتون إلىٰ بيان كلمة سواء، مثلًا في «المفردات» للرَّاغب أو فيما هو أوسع منه في «عمدة الحفاظ» للسَّمين الحلبي، فإنهم يذكرون كلمة ويريدون الآيات الكثيرة، فيقولون: هذا يُعد بداية واستشرافًا لما سيُكتب بعد ذلك.

وأيضًا في أمرٍ آخر في علم الوجوه والنَّظائر، عندما ننظر في كتاب الدامغاني أو كتاب ابن الجوزي أو غيرهما، ككتاب مقاتل قبل ذلك، نجد عند الكلمة الواحدة يأتي بالآيات الكثيرة بما تضمَّنته من المعاني.

فيعني، أطرح هذين الأمرين بين يدي معالي شيخنا جزاه الله خيرًا، والمعذرة إن أطلت عليكم. والسَّلام عليكم ورحمة الله.

معالي الشيخ صالح آل الشيخ: بارك الله فيك.

شكرًا لأخي الكريم فضيلة الدكتور بدر البدر علىٰ هذه الفائدة، وهذا تأكيد لما ذكرناه، وهناك مزيد ممَّا فيما ذكرتُه، بأنَّ اليوم الاستفادة من التَّفسير الموضوعي اليوم هي للدُّعاة والوُعَّاظ والمؤثِّرين في العالم كلِّه. فهي ليست دائمًا حجاجًا بين مختلفين؛ بل هو يحتاج إلىٰ تفسير عدد من الآيات، لكي ينتقل من هذه الآية إلىٰ غيرها في نفس الموضوع.

يعني مثلًا، إذا أخذنا «الابتلاء»، فزمن ابتلاء اليوم، ابتلاء علىٰ جميع المستويات، ويحس به المرء في نفسه. فإذا أراد عالم أو طالب علم أو داعية أن يوضِّح للنَّاس معنىٰ الابتلاء في القرآن، وعِظم الأجر، والصَّبر، وما ذلك ممَّا ابتلىٰ اللهُ به العباد وكيف يتعامل المرء معه، فإنَّه يحتاج إلىٰ أن يكون عنده علم، والعلم بالقرآن هو المقدَّم. فلا يذهب إلىٰ رأيه أو يترك القرآن ليعتمد علىٰ أقوالٍ للسَّلف أو الحديث فقط، بل يبدأ بالقرآن، حيث توجد آيات كثيرة تفصّل هذا الموضوع.

فالتَّفسير الموضوعي، بالإضافة إلىٰ ما تفضَّل به، وكما نقل عن شيخ الإسلام وغيره، أنه في الحجج ويقطع الطريق أمام التأويل، وكذلك تفاسير السَّلف في كتب العقائد، حيث يذكرون في

الموضوع الواحد كلّ الاستدلالات، لأنَّه ذلك يقطع حجَّة الخصم في التَّأويل.

وكذلك في الدعوة، والإرشاد، والكتابة، والمؤلفات، والرَّقائق، وحتَّىٰ في حياة الإنسان مع أسرته، فإنَّه يحتاج إلىٰ فوائد متعدِّدة، ولذلك فالتَّفسير الموضوعي مفيد للحياة، ومفيد للنَّاس في أمور كثيرة، خاصَّة إذا اجتمع مع بعض الأحاديث وأقوال السَّلف المؤثِّرة، فإنَّك حينها تنطلق إلىٰ إيمانيَّات عظيمة جدًّا جدًّا في هذه الحياة الصَّعبة.

المقدِّم: هنا سؤال يتعلَّق بموضوع المحاضرة، وهو: هل هناك ضوابط أو شروط للتَّفسير الموضوعي يمكن أن تذكر؟

الجواب: نعم، سؤال جيِّد وفي محلِّه.

التَّفسير الموضوعي يشترط فيه:

١. أن تُستوعب الآيات الواردة في الموضوع.
٢. أن يُطّلع فيه علىٰ جميع تفاسير السَّلف، وألَّا يُخرج عنها.
٣. أن يُفرَّق فيه بين اختلاف التَّنوُّع واختلاف التَّضاد.
٤. أن يكون الذَّهاب فيها إلىٰ قول لا يُنتقد عند أهل العلم.

هناك مسألة قريبة من ذلك، وهي ما ظنّه بعضهم بأنَّ كلام المتقدِّمين في مقاصد السُّور، مثل البِقاعي وغيره، عندما يقولون: "موضوع السُّورة هو كذا"، أو "السُّورة تدور حول كذا"، أو "مقصد السُّورة كذا"، مثل ما فسرتُ أنا عدَّة مرات:

- تفسير سورة الكهف بأنَّها في الابتلاء،
- وسورة العنكبوت في الفتنة،
- وسورة المائدة في العقود،
- وسورة الإسراء في علو الحقِّ علىٰ الباطل وآيات النُّبوَّة،
- وسورة الأنعام في التوحيد والحِجاج...

إلىٰ آخر هذه الموضوعات.

نقول: إنَّ هذا التَّفسير المقاصدي، أو تفسير موضوع السُّورة، لا يُعدُّ تفسيرًا موضوعيًّا، وهذا هو الصَّحيح. لا يُعدُّ تفسيرًا موضوعيًّا، لأنَّ التَّفسير الموضوعي يأخذ الكلمة أو الموضوع الذي جاء في

القرآن متفرِّقًا، أمَّا موضوع السُّورة فيدخل بالتَّجوُّز للسورة تفسير موضوعي لها. لكن التفسير الموضوعي للقرآن هو أن تأخذ الكلمة وتبحث عنها في القرآن كلِّه،

مثل «الفطرة» في قوله تعالىٰ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[الروم:٣٠]، فتجمع جميع مواضِعها في القرآن لتفهم المعنىٰ كاملًا، وهذا لا يكون في سورة واحدة فقط.

أحدهم يسأل: أثنيت علىٰ تفسير ابن عاشور، فهل هناك ما يمكن أن ينبه عليه عند قراءته؟

الجواب: سؤال جيِّد بالنسبة لي؛ لأنه يتيح لي الدُّخول إلىٰ قاعدة في قراءة كتب التفسير.

كتب التَّفسير نوعان:

كُتب التَّفسير المتأخِّرة التي يكون فيها بعض الخَلل في الاعتقاد، لعدم موافقتها لمعتقد السَّلف الصَّالح، وتأثُّرها بالاعتزال أو بالأشعرية أو بسائر مذاهب المُتكلِّمين.

بعض هذه التَّفاسير لا يظهر لك مقصودُها الأساسي؛ أي: المذهب، إذ يكون الغرض منها هو نصرة العقيدة الأشعرية أو الاعتزالية.

فمثلًا، تفسير «**الكشاف**» **للزمخشري** بالإجماع يعدُّ جلدًا في إثبات اعتزاليَّاته في كلِّ ما كان، فهو يُدخلها في كلِّ موضعٍ بمناسبة وبلا مناسبة، كما تُدخل الإبرة في العجين. وليس كل قارئ يستطيع استخلاصها، لذا جاء عدد من العلماء وذهبوا إلىٰ اختصاره بغرض الاستفادة من فوائده البيانية واللُّغوية، مع أنَّ كتاب الكشَّاف ليس هو ابن بَجْدَتِه، ليس هو من أنشأه ، إنما هو أخذ فكرته وأخذ أكثره من شيخه الحاكم الجُشَمي، لكن كتاب الحاكم لم يصل لنا بصورته، فالنَّاس اشتهر عندهم، فهو أخذه من غيره وزاد في اعتزاليات، من أتىٰ بعده رأوا فيه فائدة أرادوا أن يختصوه فاختصروه جماعة كثيرون منهم **البيضاوي** و**النَّسفي**، لكنهم أزالوا الاعتزال وأدخلوا مكانه الأشعريَّات.

ومن هنا نصل إلىٰ تفسير «**التَّحرير والتَّنوير**»، فلم يكن مقصد مؤلفه إثبات الأشعريَّات، قصدا؛ بل كان قصده التَّفسير البياني. فليست كل كتب التفسير علىٰ مرتبة واحدة في إدخال العقائد المخالفة، وليس كل كتاب فيه تأويلات مردودًا بالكامل.

«**تفسير الجلالين**» فيه تاويلات وهو مدرس في المعاهد العلمية عندنا من خمسين ستين سنة، منذ إنشائها وبإقرار المشايخ جميعا، ويعلقون علىٰ المواضع لأنه لم يقصد ذلك، لم يتوجَّه بالقصد إثبات العقائد المخالفة، توجَّه للتَّفسير هو فهمه إذا جاءت مسائل التَّفسير ، تفسير آيات الصِّفات أو

القدر أدخل فيها ما يعلم.

علىٰ سبيل المثال، الحافظ **النووي** وخاتمة الحفَّاظ **ابن حجر** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وهما من أئمَّة سنَّة، شرحا كتب السنة وأفادا الأمة، حبَّبوا النَّاس في سنَّة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف يأتي أحد ويتعدىٰ علىٰ مقامهم ويتكلَّم عنهم ويقول هؤلاء هؤلاء وينبزهم بمذاهب لم يكونوا هم متوجِّهين لإقرار المذاهب هذه، فإذا أتت فسَّروا بما يعلمون؛ لكن ما يفسره قصدا ويجادل عليه يستدل عليه الذي يريد يأتي يستدل عليه يعني يشرح يزوِّد علىٰ شان يوقعك أنت في هذا الفهم، أمَّا من أتىٰ بها هكذا نقلًا فيكون المستفيد يتحذر ولا يمتنع أن يستفيد من كتب التَّفسير والحديث فليست البابة بابةٌ واحدة.

أمَّا تفسير **الرَّازي**، فقد أخذه من عدَّة كتب، وأهمِّها **الكشَّاف**، لكنَّه حوّل اعتزالياته إلىٰ كلاميات اعتزاليَّة أشعريَّة، فزاد الطِّين بِلَّة. فليس هو مثل البيضاوي، ليس هو مثل النَّسفي، الكتب التي فيها شيء من التَّأويلات أو من المخالفات ، كتاب تفسير الرَّازي في النَّهي عنه مثل الكشَّاف، لأنَّه غيرها وإشكاليته أحيانا يريد أن تقع في الفلسفة يريد أن تقع في الإشكال ، إن قيل: كذا وكذا فماذا تجيب؟ يعني في الغيبيات فتذهب تريد جوابه ما يأتي جوابا يريد أن يوقعك في الحيرة مثل هذا لا يُنصح بقراءته، إلا لأهل العلم الذين يعرفون كيف يتعاملون مع هذه الإشكالات.

إذن، هناك كتب تفسير للعقائد المخالفة في تفسير القرآن بالأساس، وهناك كتب أوردت تلك العقائد بالتبعية، والقارئ الحصيف يُميّز بينها.

أما تفسير «**التحرير والتنوير**»، فبحسب اطِّلاعي عليه، وجدت أنَّ صاحبه كان مجيدًا في آيات توحيد العبادة، لكنه مرّ علىٰ الآيات الأخرىٰ علىٰ حسب فهمه البلاغي، حيث إنَّ تخصّصه كان في البلاغة، ودرَّس البلاغة في تونس مدَّة طويلة وكتب في ذلك كثيرًا، وكتب تفسيرا في تخصصه البلاغي وأضاف إضافة جميلة جيدة. جزاه الله خيرا..

سؤال: هل من توجيه معالي الشيخ مع قرب شهر رمضان في العناية بالتِّلاوة والتدبُّر والتَّفسير اللغوي والموضوعي في هذا الشهر؟

الجواب: شهر مبارك علىٰ الجميع، نسأل الله أن يُبلّغنا وإياكم رمضان، وأن يجعلنا ممن يصومه ويقومه إيمانًا واحتسابًا.

نصَّ العلماء علىٰ أنَّه في الزمن الفاضل يُكثر من قراءة القرآن، حتَّىٰ لو لم يتمكَّن من معرفة تفسيره.

فالذي يُقبل علىٰ القراءة في رمضان عليه أن يُكثر من التِّلاوة لتحصيل الأجر، وليس هذا معرفة التَّفسير اللُّغوي والموضوعي، التَّفسير الموضوعي واللغوي علم والعلم في كل وقت، لكن الذي عنده إقبال علىٰ القراءة فيتجه للقراءة ليكسب الأجر، والأجر المضاعف، بالتِّلاوة في حد ذاتها؛ من له رغبة في العلم؛ بعد ما يقرأ آية ويستشكل ويريد يبحث له في المكتبة، لكن الأصل في الزَّمن الفاضل كثرة التِّلاوة.

من تعبَّد الله بالعلم لينتفع وينفع النَّاس فهذه عبادة فاضلة هو فيها مأجور ومضاعف له، لكن عامَّة النَّاس ولا هم علماء ولا طلبة علم أحسن يكثرون من القراءة إذا أشكل شيء يكون عنده إمَّا تفسير فيه تطبيق وحي، فيه كثير من التَّفاسير ممكن تنزِّلونه، وقد وضعها الشيخ في جوالي، واستفدت منه، في الفترة الماضية، في مواضع كثيرة، لأنَّ ترتيبه ممتاز وقراءته وإيراد التَّفاسير فيه ممتاز.

بارك الله في الجميع،

المقدِّم: شكر الله لكم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، هذه المحاضرة الماتعة.

وأسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعله حجَّة لنا جميعًا.

شكرًا لكم أيها الحضور الكرام علىٰ حضوركم وتشريفكم لهذا اللِّقاء، وهذا الحضور الكثيف، يا معالي الشيخ صالح، هو دعوةٌ لتكرار مثل هذا اللِّقاء.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجمعنا، وأسأل الله أن يطيل في عمرك علىٰ طاعته، ونراكم - بإذن الله - في مناسبات قادمة.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...